Al-Daleel
مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

The Non-Religious Phenomenon and its Effects on Religious thought; the Deistic Doctrine as a Model..a critical study

Hatem al-Jayashi

PhD student at Aalul-Bayt International University, Iraq. E-mail: h-alsmawy@yahoo.com

Summary

Contemporary atheism includes many different types, unlike previous atheism, which represented one sect based on a specific authority. In this article, we have tried, through the descriptive, analytical and critical approach, to explain the mental and logical confusions in which the followers of the deistic trend- the most dangerous types of new atheism- have fallen. This danger lies in that deism promotes itself as a mediator between religion and atheism. Moreover, the article tries to introduce this type of thought and show the motives that have made the followers of this current to adopt it as a doctrine and thought, beside showing the cognitive sources relied on in forming its intellectual system and the approach followed by them, and also showing the deists' way of thinking and conception of God. After that, the article criticizes the arguments that deists assume to support their doctrine. It also discusses the wisdom of the prophets' being human, and the sending of messengers with divine missions. Finally, we have got to the necessity of divine religious legislations and their important role in man's perfection, without depending only on the role of reason in revealing all the facts that would lead man to his sought perfection.

Keywords: deism, deity, God, religious phenomenon, religion.

Al-Daleel, 2022, Vol. 5, No. 1, PP.198-222
Received: 20/4/2022; Accepted: 15/5/2022
Publisher: Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies
©the author(s)

الظاهرة اللادينية وتأثيراتها على الفكر الديني.. المذهب الربوبي نموذجًا

حاتم الجياشي

دكتوراه في الفلسفة الإسلامية، جامعة آل البيت العالمية، العراق. البريد الإلكتروني: h-alsmawy@yahoo.com

الخلاصة

يتّسم الإلحاد المعاصر بضمان أطياف عديدة وألوان مختلفة، بخلاف الإلحاد السابق الذي كان يتّصف بطائفة واحدة تنطلق من مرجعية محدّدة، حاولنا في هذا البحث من خلال المنهج الوصفي التحليلي والنقدي إيضاح الاختلالات العقلية والمنطقية التي تخبّط فيها أتباع التيّار الربوبي، والذي يعدّ أحد أخطر أنواع الإلحاد الجديد، وهذه الخطورة تكمن في تسويق نفسه كوسطية بين الدين والإلحاد، وكذلك التعريف بهذا الفكر وتوضيح الدوافع التي دفعت أتباع هذا التيّار على اتّخاذه مذهبًا وفكرًا، وكذلك تبيين المصادر المعرفية التي يعتمدها في بناء منظومته الفكرية والمنهج المتّبع عندهم، وأيضًا توضيح رؤية الربوبي وتصوّره حول الإله، ومن ثمّ تمّ نقد الأدلّة التي جاءوا بها لتعضيد مذهبهم بالحجّة والبرهان، وتوضيح الحكمة من بشرية النبيّ وإرسال الرسل، وتوصّلنا إلى ضرورة التشريعات الدينية السماوية ودورها الفاعل في تكامل الإنسان، وعدم الاكتفاء بدور العقل في كشف جميع الحقائق التي من شأنها إيصال الإنسان إلى كماله المنشود.

الكلمات المفتاحية: المذهب الربوبي، الربوبية، الإله، الظاهرة الدينية، الدين.

مجلة الدليل، 2022، السنة الخامسة، العدد الأول، صص. 198ـ222

استلام: 2022/4/20 ، القبول: 2022/5/15

الناشر: مؤسسة الدليل للدراست والبحوث العقديّة

© المؤلف

المقدّمة

لقد انتشرت نظريات إلحادية في الجانب الربوبي في أواخر القرن السابع عشر الميلادي، وكانت تصبّ في ربط الإنسان بالجانب المادّي، أو الجانب الخاصّ بذاته، وإنّ هذا الأمر كان في البدء عبارةً عن مجرّد اعتراضات وتشكيكات في أصالة الدين ومنشئه، وبعد ذلك تطوّر إلى التطرّق إلى جدواه، ومن ثمّ وصل الأمر إلى الرفض التامّ لأسس هذا الفكر الديني وأركانه، وبالتالي اعتبر وبالًا على الإنسان وحياته.

فإذا كانت هذه الظاهرة على تعدّد اتّجاهاتها ليس بجديدة رغم عمقها في التاريخ وضربه فيه، فإنّ ما يجري في عالمنا العربي والإسلامي من أعمال تكفيرية وإجرامية أدّى الى ارتفاع ظاهرة التشكيك بالدين بشكل ملفت.

إنّ الاعتراض عليه هنا وهناك يعني دخول هذه الظاهرة إلى عقول بعض المسلمين بطريق أو بآخر، وهذا الاعتراض على تعاليم الإسلام قد سبقه اعتراضات على الأديان الأخرى، وأدّت كثرة الاعتراضات والتشكيكات في الدين إلى وقوع المتديّنين في الشكّ في بعض تعاليمه، ممّا أدّى إلى ضعف إيمانهم بصحّة دينهم ومعتقداتهم، ونتيجة ذلك ظهرت فرق واتّجاهات معارضة للفكر الديني، ومن تلك الاتجاهات المذهب الربوبي، فأصحاب هذا الاتّجاه لم يصنّفوا على أنهم ذوو فكر ديني أو فلسفي ولا ذوو اتّجاه إلحادي؛ إذ إنّهم لم ينكروا فكرة الإله من الأساس، بل يؤمنون بوجود الإله، لكنّهم غاية الأمر يرفضون فكرة النبوّة، وبالتالي يرفضون كل ما يترتب على فكرة النبوة من دين وشريعة وتعاليم تنظّم حياة الخلق وشؤونهم.

ونتيجة هذه الاعتراضات ـ التي أثيرت حول فكرة الدين بشكل عام أو بشكل خاص كما تبنّاه أصحاب المذهب الربوبي ـ جعلت رجال الدين أمام تحدّيات كبيرة وعظيمة تضاف لباقي التحدّيات الأخرى، إذ توجّب عليهم الإجابة وحلّ جميع الشبهات ورد الاعتراضات حول الدين؛ لكي ترجع ثقة معتنقي الدين بتعاليمه.

وهذا يلزم من رجالاته أن يعملوا على تقديم قراءة جديدة للموروث الديني، بعدما عملت القراءة الكلاسيكية التي بقيت أسيرة الماضي على محاربة العقل والتعقل، وتشويه الأفكار والمفاهيم؛ ممّا ساهم في ظهور الفكر التكفيري والمتشدّد، فتشوّهت صورة الإسلام بظهور الحركات والاتّجاهات المنحرفة، التي ولّدت نفورًا من الدين وتشكيكًا بتعاليمه.

ويتوجّب في الإجابة على هذه الاعتراضات استخدام الأسلوب الهادئ والعقلائي بلا تسقيط أو تكفير؛ لأنّ مؤدّى أسلوب التكفير يؤول إلى نتائج عكسية؛ إذن لا مناص من منطق الحجة والبرهان في تفنيد هذه الاتجاهات، سواءٌ كانت إلحاديةً أو ربوبيةً أو غيرها؛ فهذه الدراسة جاءت للتعرّف على المذهب الربوبي من حيث الدوافع والأسس، وكذلك للتعرّف على مصادره المعرفية التي يعتمدها ومنشئها، وشيء من تاريخه ورموزه، وبعد ذلك التعرّف على كيفية نقد أفكار الربوبيين وآرائهم، وحريٌّ بنا قبل ذلك أن نبيّن المفاهيم التصوّرية لهذه الدراسة:

الربّ لغةً

إنّ لكلمة الربّ معاني عدّةً:

منها أنّ الربّ يطلق ويراد منه المالك، والسيّد، والمدبّر، والمربّي، والقيّم، والمنعم [ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 399 و400]، وقال أيضًا ولا يطلق غير مضافٍ إلّا على الله ﷻ، وإذا أطلق على غيره أضيف، فقيل: ربّ كذا.

قال: «وقد جاء في الشعر مطلقًا على غير الله تعالى، وليس كثير، ولم يذكر في غير الشعر» [ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 399]، وقال: وربّ كلّ شيء: مالكه ومستحقّه، وقيل: صاحبه.

ويقال، فلان ربّ هذا الشيء، أي ملكه له.

وكلّ من ملك شيئًا فهو ربّه، يقال: هو ربّ الدابة، وربّ الدار، وفلان ربّ البيت، وهن ربّات الحجال. [ابن منظور، مصدر سابق، ج 1، ص 399]

الربّ اصطلاحًا

إنّ الربّ اسمٌ من أسماء الله تعالى فمعناه:

من له الخلق والأمر والملك، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [سورة الأعراف: 54].

وقال: ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ [سورة فاطر:13].

قال ابن منظور: الرب هو الله ﷻ، هو ربّ كلّ شيءٍ، أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو ربّ الأرباب، ومالك الملوك والأملاك. [انظر: ابن منظور، مصدر سابق، ج 1، ص 399].

أمّا الربوبية لغةً

فإنّها مصدرٌ من ربّ يربّ ربايةً وربوبية وتربية، و"الربّ" قد تمّ توضيحه سابقًا في كلام ابن منظور، وأمّا "الربوبية" فهي لا تطلق إلّا على الله تعالى، وإطلاقه لغيره: الربايـة والتربيـة [انظر: الأصفهاني، المفردات، ص 184]، فالراء والباء أصلٌ يدلّ على معنًى جامعٍ هو إصلاح الشيء والقيام عليه ولزوم ذلك [انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 2، ص 381 و382]، وهذا ما يناسب معنى التربية.

فمعنى الربوبية هو تولّي الله تعالى خلقه بالتربية، يخلقهم ويصلح معاشهم ويقدّر لهم أقدارهم ويقضي في مآلهم ويدبّر شأنهم.

الربوبية اصطلاحًا

يوجد أكثر من تعريف للربوبية اصطلاحًا، وسوف نكتفي بأهمّها، وأوّلها تعريف روبرت سولومون (Robert Solomon): هي اعتقاد بضرورة وجود إله خلق العالم بكل قوانينه؛ ولهذا يقبل المذهب الربوبي بصورة من الصور الدليلَ الكوني، الذي يعتبر أحد أدلّة وجود الله تعالى، لكنّ سولومون يؤكّد عدم وجود تبرير عقلي للاعتقاد بأنّ الله تعالى يولي اهتمامًا خاصًّا بالإنسان والعدالة الإنسانية، وفي الوقت نفسه يرفض أيّ صفات تشبيهية نضفيها على الذات الإلهية، كذلك يرفض الاعتقاد بالقصص التوراتية حول الإله [انظر: سولومون، الدين من منظور فلسفي.. دراسة نصوص، ص 185 و186].

والتعريف الآخر يذهبون فيه إلى: أنّ الربوبية مذهب فكري لا ديني، وفلسفة تؤمن بوجود خالق عظيم خلق الكون، وإنّ هذه الحقيقة يمكن الوصول إليها باستعمال العقل ومراقبة العالم الطبيعي وحده دون الحاجة إلى أيّ دين.

بعبارة أخرى إنّ هذا المذهب يقوم اعتقاده على الدين الطبيعي لا الدين الذي يقوم على الوحي، فهو يرفض التدخّل الإلهي في حياة الإنسان وشؤونه، وبهذا الأمر انسلخت الربوبية عن باقي الديانات كاليهودية والمسيحية والإسلام؛ على اعتبار اعتماد هذه الديانات على فكرة الوحي ومعجزات الأنبياء، فالربوبيون انسلخوا عن الديانات برفضهم الوحي والنبوّات وبالتالي رفضوا المعجزات المترتّبة على بعثة الأنبياء من جهة، ومن جهة أخرى اجتمعوا مع اللادينيين، ومع ذلك فإنّه لا يصحّ جعلهم في صف الملحدين؛ لأنّهم لا ينكرون وجود خالق لهذا الكون. [انظر: بدوي، تاريخ الإلحاد في الإسلام، ص 183]

فمن هذه التعاريف وغيرها نصل إلى أنّ هذا المذهب يرى أنّ الدين الحقّ هو الدين الطبيعي الذي يمكن الوصول إليه والاطّلاع على مبادئه من خلال العقل البشري، وبالتالي فلا حاجة إلى الوحي أو الإلهام للوصول إلى المبادئ الأساسية التي يعتمدها أصحاب المذهب الربوبي، فهم يرون كفاية اللاهوت الطبيعي في الناحية الدينية.

التعريف بالظاهرة الربوبية وشيء من تاريخها ورموزها

إنّ الربوبية تعدّ تعريبًا للكلمة الإنكليزية (deism)، والمذهب الربوبي مذهب فكري بامتياز لا صلة له بالدين، وإنّ فلسفته تبتني على وجود خالق لهذا الكون الفسيح، وإنّ هذه الفكرة يمكن الوصول إليها والوقوف على أركانها عن طريق استعمال العقل، ومراقبة هذا العالم الطبيعي بدون الحاجة لأيّ دين.

فأصبحوا يعتقدون بالدين الطبيعي لا الدين المعتمد على الوحي، إذن فكرة الربوبية عندهم تختلف اختلافًا جوهريًا عن أصل الدين، بل لا تعتمد أصلًا على فكرة الوحي، وهذا السياق جاء نتيجة ترجمة رافضة لفكرة التدخّل من قبل الإله في شؤون الإنسان، وبهذه صنع المذهب الربوبي فاصلًا جوهريًا يفصله عن باقي الديانات كاليهودية والمسيحية والإسلام، لسبب واحد هو هذا المذهب لا يؤمن لا بالوحي ولا بالمعجزات، وبالتالي يرفض فكرة النبوّة، فرفض الربوبيين لفكرة إرسال الأنبياء جاء نتيجةً لرفضهم فكرة كون الإله كاشفًا عن نفسه للإنسان من خلال الكتب المقدّسة [سولومون، المصدر السابق، ص 186]، ومن جانب آخر فإنّ المذهب الربوبي يختلف عن الاتّجاهات الإلحادية؛ باعتبار أنّه يؤمن بوجود خالق لهذا الوجود لكن يتّفق معها في رفض النبوّات والمعاجز، والغريب أنّ الربوبيين يدّعون أنّ الإله له خطّة لهذا العالم، لا تتغيّر لا من قبله ولا من قبل قوانين الطبيعة، وإنّ ما تراه البشرية المتديّنة على أنّه وحي وكتب مقدّسة يفسّرها الربوبي بأنّها صادرة عن البشر، ولا يفوتني هاهنا أن أضع علامة استفهام على أمرين: الأمر الأول هو أنّ هذه التسمية لمذهبهم من قبل أتباعه كانت تسمية هدفها إعلام الآخرين بأنّ الربوبيين يؤمنون بوجود إله لهذا الوجود فقط، وبهذا فإنّهم لا يفترقون عن أهل الديانات السماوية في هذا الاعتقاد، إذن ممّا يلفت النظر أنّ تسميتهم بالربوبيين لا تميّزهم عن غيرهم.

والأمر الثاني: أنّ ما جعلوه مائزًا لهم عن غيرهم بتسميتهم بالربوبيين فهو بعينه يُخرِج تلاؤم العنوان على المعنون؛ لأنّه لا يكون منطبقًا مع ما يعتقدونه من أمر الإله الذي جعلوا منه إلهًا لا دور له ولا

تدخّل بكلّ هذا الوجود من شؤون الخلق بكلّ جوانبه، والإله بهذه المواصفات لا يسمّى ربًّا، وبالتالي الأجدر به اختيار مسمًّى آخر ينسجم مع ما يتبنّوا.

وأمّا منشأ هذا المذهب ووقت ظهوره فإنّ المصادر تنقل بأنّه ظهر في القرنين السابع عشر والقرن الثامن عشر، خصوصًا خلال ما يسمّى بعصر التنوير، وهذا ما يؤكّد قول سولومون بأنّ الربوبية بوصفها تنويعًا على الديانة اليهودية والمسيحية، كانت منتشرةً على نطاق واسع بين العلماء المتديّنين في القرن الثامن عشر الميلادي [سولومون، مصدر سابق، ص 186]، وفي مصدر آخر يذهب إلى أنّ المذهب الربوبي ظهر في عصر التنوير وخصوصًا في المملكة المتّحدة وفرنسا والولايات المتحدة وإيرلندا، وإنّ معظم الربوبيين كانوا يدينون بالديانة المسيحية، ولكنّهم بعد ذلك تركوها لأسباب وردود أفعال في قبال ما كان يقوم به رجال الدين، ممّا جعلهم يرفضون الإيمان بألوهية المسيح، أو معاجزه، وبعد ذلك أخذوا ينتشرون في العالم.

والجدير بالذكر أنّهم في البدء لم يشكّلوا تجمّعًا أو كيانًا، لكنّهم بعد ذلك أخذوا يؤثّرون على المجتمعات الدينية بشكل ملفت، خصوصًا على الاتّجاه التوحيدي.

فالربوبية موجودة إلى يومنا على نحوين: كلاسيكي وحديث، ويجدر بنا أن نجيب عن إشكال مقدّر هو: إذا كان هذا معنى المذهب الربوبي وما يحتويه من معتقد كما تقدّم بنا الكلام، إذن لا يختلف فكرًا عن معنى الرباني؟ كما ذكر ذلك في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [سورة آل عمران:7]، وفي آية أخرى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: 146]، فالجواب هنا هو وجود فرق جوهري بين المعنيين وإن التقيا لفظًا؛ لأنّ الاختلاف واضح وجلي لمن كان مطلع على اعتقادهم وتوجهم الفكري، فهم ينكرون النبوة، وأمّا الربّاني وكذلك الربّي فهم ممّن يطيعون الربّ ﷻ في تعاليمه، وهم بذلك سائرون على نهج وتوجيه الأنبياء الذي أمر به الباري العباد، وأيضًا أنّ الواضح من الربّاني والربّي هو أنّهم منسوبون إلى الربّ، وهذا ما يستشفّ من فحوى الآيتين أعلاه.

إنّ قيام هذا المذهب على مبدإٍ مهمٍّ ـ وهو إنكار النبوّة وما يتبعها من نظام حياة على المستويين الفردي والاجتماعي ـ هو الأساس الذي شيّد عليه المذهب الربوبي أركانه، والملفت أنّ هذه الفكرة لم تكن من ابتكاراتهم، فهي ليس بكرًا في مضمونها، بل لها جذور ضاربة في القدم، وهذا ما أكّده علماء الكلام

بقولهم: البراهمة: من الناس من يظنّ أنّهم سمّوا نسبةً إلى إبراهيم عليه السلام وهـذا خطـأ، فـإنّ هـؤلاء هـم المعتقدون بنفي النبوّات أصلًا، فهؤلاء البراهمة إنّما انتسبوا إلى رجل منهم يقال له براهما، وقـد مهّـد لهم نفي النبوّات أصلًا وقرّر استحالة ذلك في العقول [الشهرستاني، الملل والنحل، ج 2، ص 251]، وهـؤلاء قد احتجّوا على إنكار النبي أو الرسول بأنّ ما يأتي إمّا أن يوافق العقل أو يخالفه، فعندما يكـون موافقًـا للعقل ما أتى به فلا حاجة له، أو يأتي بما يخالف العقل فهنا يجب أن يردّه.

وتوجد أقوال وآراء للبراهمة لا يهمّنا ذكرها هنا حتّى لا نخرج عن إطار هذه المقالة، وقد ذكر النوبختي أنّ البراهمة أثبتوا الخالق والرسل والجنّة والنار، وقد زعموا أنّ رسولهم ملك أتاهم في صورة البشر. [ابـن الجوزي، تلبيس إبلـيس، ص 103]، والذي يؤكّد هذا التحفّظ أو الشكّ ما توصّل إليه الدكتور عبد الرحمن بدوي عندما أحصى أقوال العلماء حول معتقدات البراهمة حيث قال: إنّ الروايـات الـتي نجـدها لدى المؤلّفين الإسلاميين عن البراهمة باعتبارهم منكري النبوّة إنّما ترجع إلى كتاب الزمرّد لابن الروانـدي [بدوي، من تاريخ الإلحاد في الإسلامي، ص 185]، فإنّ بـدوي يقطـع بـأنّ ابـن الروانـدي حينمـا يقـول إنّ البراهمة يطعنون بالأديان التوحيدية إنّما كان يروم من ذلك هو إخفاء ما يعتقده خلف مدرسة هنديـة لها مكانتها عندهم، حتّى ينسب لهم تلك الأقوال [المصدر السـابق، ص183]، فـابن الروانـدي معـروف بالإلحاد والزندقة؛ لهذا عدّه الباحثون الغربيون من أشـهر ملاحـدة القـرن الثالـث الهجـري [المصـدر السابق، ص91]، وله كتب كثيرة في الإلحاد. نعم، يوجد أخذ ورد في قضـية نقـض كتبـه الـتي ألّفهـا في الإلحاد فلا نطيل الكلام في ذلك. [انظر: الأميني، أعيان الشيعة، ج 3، ص 205]

وعلى كل حال سواء ثبتت النسبة للبراهمة أو لم تثبت، فإن ما هو موجود في كتـب ومؤلفـات علمـاء الكلام حول حجج هذا المذهب وردها كافٍ فيما نريد أن نصل إليه في تبنّي البراهمة لهذه العقيدة، وأنها ضاربة في القدم عندهم، وهذا منشأ الفكر الربوبي في بلدان الشرق، وأما بـلدان الغـرب فيبـدو أنهـا ترجع إلى العصور المتأخّرة، وكان من رواد المراحل الأولى لهذه العصور الفلاسـفةُ الذيـن تبنـوا الفكـر الربوبي واعتقدوا به كالشاعر والفيلسوف الفرنسي فولتير (Voltaire)، ومن العلماء كأنطوني جيرارد نيوتن فلو (Antony Flew)، وهذا الأخير كان من المنظّرين للإلحاد خـلال مسـيرة حياتـه لكـن في أواخر حياته اعتنق الفكر الربوبي، وأيضًا ينسب هذا الاعتقاد إلى رؤساء الولايات المتحدة الامريكية [بدوي، الموسوعة الفلسفية، ج 2، ص 206]، وأمّا اليـوم فـان جماعـة الفكـر الربـوبي اخـذوا بالانتشـار والتوسع، من خلال تسويقهم لفكرة ان هذا المذهب سهل بفكرته وبسيط بتبنيـه، معتضـد بالعقـل،

ومقدرًا للعلم، مستغلين في ذلك ما يحدث من احداث في الفكر الديني، من حيث انتشار الخرافة، والتشدد الديني والتعصب الذي يرافقه، فضلًا عن الاعتقادات البالية، وكذا الحروب والتقاتل القائم بين الجماعات الدينية لأسباب تافهة منها عدم التوافق بالرأي، وهنا بدأوا بتشكيل مذهبهم وأخذوا بتنظيمه وبعد ذلك أصبح لهم اتحاد عالمي خاص بهم ومركزه في العاصمة الامريكية واشنطن [ستر ومبرج، تاريخ الفكر الأوربي الحديث، ج1، ص171]، وهذا تم تأكيده من قبل مدوَّنة الربوبي العربي الخاصّة بهم في مقال نشر بتأريخ 14 آذار 2014 م، وأيضًا يوجد من الكتاب من يقول بأن أكثر المذاهب انتشارًا في أوربا هو المذهب الربوبي. [بدوي، ربيع الفكر اليوناني،ص151_156]

العوامل التي تدفع نحو الربوبية

إنّ الإنسان في مسيره الفكري غير عشوائي أو دون مبررات منطقية، فلا بد من وجود منطلقات ومبررات منطقية تجعل منه تابعًا لفكرة معينة، وهذه المنطلقات إما أن تكون فطريةً أو وجدانيةً، أو نفسيةً، أو عقلية؛ فهذا هو ديدن الانسان في مسيره الفكري، وهنا نتساءل: ما هو الدافع الذي جعل بعض الناس يتخذون من الفكر الربوبي مذهبًا لهم؟

إنّ الربوبي في تبنّيه لفكرته في الإيمان بالله تعالى يجب أن يتّبع البرهان العقلي للاعتقاد بالإله والإيمان به، والتفكّر بهذا الكون الفسيح ـ من حيث صنعه ونظامه وآياته، وأنّه من آثار خلق الإله المتعالي ـ لا يمنع من وجود دوافع أخرى لدى بعض البشر.

وأمّا مسألة إنكارهم لفكرة النبوّة والواسطة بين الخالق والمخلوق، فهي مسألة غير مبتنية على المنطلقات الفكرية والعقلية، بل يصعب عليهم ادّعاء إقامة دليل، سواء كان فطريًّا أو وجدانيًّا أو عقليًّا، وهذا ما يعني أنّ منطلقاتهم التي اتّخذوها في ذلك لها دوافع ودواعٍ أخرى ساعدت في رفضهم لفكرة النبوّة وما يتبعها من شرائع، فيمكن لنا أن نرجع هذه الدواعي والدوافع إلى ما يلي:

1ـ أنّ أصحاب الديانات والشرائع في القضايا المصيرية والجوهرية التي تحيط بحياة الإنسان، سواء ما يتّصل بالعالم الآخر من مبدإٍ ومعادٍ، أو ما يتّصل بحياته الدنيوية كشؤون المعاش، لم يقدموا تصوّرًا ومفهومًا واضحًا موحّدًا حول هذه القضايا، والشاهد على ذلك الاختلافات الواسعة في الأساسيات فضلًا عن جزئيات القضايا، ناهيك عن التخبّط الموجود في داخل أروقة الفكر الديني نفسه، فتكون هذه المآخذ سبلًا تؤدّي للابتعاد عن الدين؛ فيقع الإنسان في شباك الفكر الربوبي وغيره من الأفكار

اللادينية، ولسنا بصدد مناقشة أسباب الاختلاف بين الأديان؛ لأنّ ذلك ليس من أهدافنا في هذه المقالة بقدر اهتمامنا بتبيين دواعي هذا الفكر خاصّةً.

2ـ إفراز التشدّد الديني لجماعات متطرّفة تمارس القتل والإجرام والعنف، وكل ذلك تعمله باسم الدين، ممّا أدّى إلى النفور من الدين بسبب هذا التشدّد الّذي جعل من الدين سلاحًا للتفكّك والتفرّق بدل أن يكون سلاح سلامٍ ووئامٍ بين البشرية، بل جعلت منه رسالةً مشوّهةً مليئة بالكذب والتزوير والصور البشعة عن الدين، ممّا دفع بالكثير إلى اعتناق هذه الأفكار اللادينية، ومنها الفكر الربوبي الذي يرونه السبيل الأسلم لخلاص الإنسانية من التشدّد والتفرّق، بل والمنجى من تبعات الأديان وأعبائها، كما ينعته أتباعه بذلك.

إنّ هذا الدافع لو كان أصحابه يميّزون بين التعاليم الدينية وبين سلوكيات أتباع الدين (التمييز بين النظرية والتطبيق)، لما وقعوا في مستنقع الإلحاد أو تبني الفكر الربوبي، وهنا يأتي إشكال هو صعوبة التفرقة بين الدين وسلوكيّات أتباعه، ودليلهم هو أنّه لو كان في هذا الدين خير وصلاح لانعكس على أتباعه سلوكًا وأخلاقًا.

فيجب على أهل الوعي والبصيرة من المسلمين إنقاذ دينهم من هذه الدوافع، وتقديم رؤية وتجربة حضارية مستوحاة من روح الدين ونصوصه ليظهروا للإنسانية الخير كلّه.

3ـ أنّ ولادة الفكر الربوبي في الغرب كانت نتيجة ممارسات رجال الكنيسية، الذين كانوا يضطهدون معارضيهم، سواءٌ كانوا أناسًا عاديّين أو من علماء الطبيعية، وهذه الولادة كانت نتيجة إنكارهم لبعض العقائد المسيحية، ونظرهم إلى المسيح عليه السلام على أنّه مصلح اجتماعي ليس إلّا، إذن كانت ردّة فعل على الأطروحات اللاهوتية غير المقنعة من قبل الكنيسة ورجالاتها.

وهنا يجدر بنا أن نتطرّق لأمر مهم بغضّ النظر عن التحريف الحاصل في التوراة أو الإنجيل ككتابين سماويين، فإنّنا نقول أيضًا: لو كان هناك تمييز وفصلٌ بين النصّ وسلوكيات رجال الكنيسة لما انقاد الناس إلى الإلحاد أو إلى اعتناقهم للفكر الربوبي، بل كان ارتدادهم أوسع من ممارسات الكنيسة، بحيث أدّى إلى رفضهم للدين نفسه، واستبداله بالقوانين الوضعية التي أفسدوا بها أكثر ممّا يصلحوا.

4ـ أنّ وقوف بعض رجال الدين عاجزين عن الإجابة على بعض الأسئلة المصيرية المقلقة للبشرية يعد من الأسباب التي أدّت إلى عدم تقديم حلول لكثير من المشكلات على الأصعدة كافّةً، سواءٌ كانت

اجتماعيةً أو اقتصاديةً أو فكريةً أو روحيةً، وأيضًا هذا الدافع أدّى ببعضهم إلى التشكيك في حقّانية الدين وصدقه، بل وصحّة انتسابه إلى الله تعالى، وأدّى الى توليد شعور عند بعض الناس بعدم قدرة بعض الأديان على مواكبة الحياة، وأيضًا عجزها عن تقديم حلول لمشكلات العصر، ونتيجة هذه الأسباب وغيرها تم تسرب الفكر الربوبي إلى الساحة الدينية.

5ـ هناك دافع آخر يمكن أن نصفه بدافع الميل إلى الراحة والدعة؛ لكون الإنسان يركن لهذين الأمرين ويبحث عنهما، والفكر الربوبي يعطي الإنسان هذين الأمرين، برفضه لتبعات وجوب معرفة الرسالات السماوية الحقّة، وبالتالي يكون في حلٍّ من الالتزام بمقتضيات الشرائع السماوية بمنظومتها الشعائرية والطقوس، وغيرها من القيود التي يفرضها التشريع عليه.

والأمران الآخران الإيمان بالله دون الالتزام بالرسل أو الإيمان بهم أمر سهل، ولا يكلّف صاحبه شيئًا؛ لهذا يعدّ الربوبي نفسه في فسحة من الالتزام، وبالتالي فإنّه غير محكوم بشريعة ذات تعاليم صارمة من وجهة نظره، وبهذا يكون الربوبي غير قلق من الحساب الأخروي وما يفرض ذلك عليه من التزامات في عالم الدينا، كما هو شأن المتديّنين بذلك.

إنّ هذا الدافع الذي دفع بأتباع المذهب الربوبي يؤخذ عليه بسؤال بسيط هو: كيف يمكن للإنسان العاقل أنْ يخلد إلى الرحة والدعة مع وجود أسئلة مصيرية تفرض نفسها عليه؟ وكذلك نحن نتساءل كيف يرتاح عقله وفكره وهو يعلم بوجود الكثير من الأنبياء وأنّهم رسل الله إلى البشرية، وأنّ الخلاص باتّباعهم والهلاك بعدم الانصياع لهم؟

المصادر المعرفية المستوحاة من أفكار الربوبيين

إنّ التعرّف على كلّ فكر أو اتّجاه لا بدّ أن يكون من بوابة المصادر المعرفية التي يعتمدها في إثبات رؤاه وتصوّراته الاعتقادية، وبناءً عليه فإنّ المصادر التي يمكن استنباطها من رؤيتهم الفكرية هي كما يلي:

1ـ العقل

إنّ المتتبّع للفكر الربوبي يرى أنّ الربوبيين يؤمنون بدليلية العقل ومرجعيته المعرفية فيما يتبنّوه، باعتبار أنّهم لا يقبلون بمرجعية أخرى بين الله وخلقه، وبالتالي فهم لا يقبلون الوحي والنص الديني، وهم بهذا يكونون في حلٍّ من النصّ الديني؛ لأنهم لا يعتبرون له حجية أو دليلية، ومن الواضح أنّ هذا المصدر ليس بالعقل الفطري، وإنّما هو العقل المكتسب الخاضع لعامل الثقافة والتربية والبيئة

المحيطة المليئة بالمتغيرات المختلفة، والدليل على ذلك لو كان مرادهم من العقل هو العقل الفطري لكان حجّةً بنفسه، ودليلًا ملزمًا للآخرين؛ لأنّه عقل جمعي ـ أي مجمع عليه من ذوي العقول وليس رأيًا انفراديًّا ـ وليس مكتسبًا بالسمع، وهذا ما يوضح سقوط أتباع الفكر الربوبي في فخّ المغالطة عندما قالوا إنّ المتديّن عندما يريد التعرّف على إلهه لا يتعرّف عليه إلّا عن طريق النص الديني، بينما نحن ـ الربوبيون ـ عندما نريد التعرف على إلهنا نتعرف عليه عن طريق العقل [الخشن، أصول الاجتهاد الكلامي، ص 304].

إنّ هذا الكلام من أتباع الفكر الربوبي ليس دقيقًا، بل مغالطة واضحة؛ لأنّ إثبات نفس وجود الخالق هو عن طريق العقل وليس من خلال النص أو الوحي كما يدّعي الربوي، وهذا الأمر يعتبر الأسّ أو الأصل في العقيدة الإسلامية، بل وكثير من المسائل الجوهرية لا يكون إثباتها إلّا بالعقل. إنّ الربوبي بتأسيسه واعتماده على العقل كان غرضه رفض النبوّة وما يترتّب عليها. [الخشن، عالم دون أنبياء، ص 43]

والسؤال المطروح على أصحاب الفكر الربوبي: هل يحكم العقل باستحالة النبوة؟ وهل يستطيع العقل الحكم بعدم الحاجة لها؟ وهل يستطيع أن يكذّب آلافًا من الرسل والأنبياء الذين أرسلوا إلى الناس على مر التاريخ ونقلوا لهم رسالات الباري تعالى وتعاليمه، وجاءوا بالأدلّة والبراهين على إثبات نبوّتهم؟

فجواب الربوبي هو وجود تشكيك حول صدقية هذا التاريخ الديني، وأنّه لا توجد ضمانات لصحّته!

وهنا يمكن الردّ على الربوبي بأنّ هذا التشكيك في التاريخ الديني من حيث المصداقية والضمانات لا يرفع التكليف عنّا في البحث عن الحقيقة؛ لأنّ الحقيقة يُبحث عنها بشكل موضوعي بلا خلفية ذهنية مسبقة، وإيماننا المبتني على الدليل والبرهان بأنّ النص الوحيد الذي لم يتعرض للتحريف هو القرآن الكريم، الذي يؤكّد على صحّة النقل التاريخي في بعثة الأنبياء.

2ـ العلم

إنّ العلم يعدّ من المصادر المهمّة عند أصحاب الفكر الربوبي، بل يولونه تقديرًا خاصًّا باعتباره الوسيلة للتعرف على الإله والكون؛ لهذا يقولون: الإنسانية ستتعلم أكثر عن مفهوم الإله عن طريق العلم، فهذا هو الطريق الوحيد الذي يمكننا من المعرفة أكثر حول الإله، من خلال دراسة الخلق، وليس من خلال الكتب المقدّسة للأديان التي هي من صنع مؤسّسيها. [الخشن، أصول الاجتهاد الكلامي، ص 437]

وللعلوم الطبيعية التي توصّل إليها الإنسان القدرة على كشف أسرار الطبيعة، فقد حمينا أنفسنا عن طريقها من معظم الكوارث الطبيعية والأمراض.

يتبيّن مما سبق أنّ الربوبي يهتمّ ويقدّر العلم، وهذا يجعله أمام مسلك مهم لدى العلماء، وهو أنّ أهل العلم عندما تعرض لهم ظاهرة ولا يفهمون كنهها، فإنّهم يتوقّفون عن الحكم عليها، ولا يتسرّعون إلى إنكارها [ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، ج 3، ص 18]؛ لأنّ الحكم عليها أو إنكارها ليس من دأب العلماء، بل هو من دأب الجهّال.

ومن شأن هذا العلم أن يدفع العلماء إلى التواضع والإقرار بأنّ ثمّة مجهولاتٍ وأسرارًا في هذا العالم لم يتمّ التعرف عليها، وأنّ تطوّر العلم كفيل بالكشف عن الكثير منها، وهذا يوضّح ما ذهب إليه البرفسور الأمريكي جورج سنتيانا (George Santayan) (1863 – 1953 م) كما ينقل عنه وليم ديورانت: «بعض العلماء يتوهّمون أنّهم قد أثبتوا بطلان الدين بالعلم، من غير أنّ يبحثوا عن أصل الأفكار والعادات التي نبحث عنها في إثبات تلك العقائد الدينية، ومن غير أن يعرفوا معنى العقائد الدينية الأصلية وعملها الحقيقي» [ديورانت، قصّة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ص 369]، ومن الحريّ بالعالم مهما بلغ من العلم أن لا يغترّ بعلمه فيقف موقف الاستخفاف والسخرية من تعاليم الدين، فالدين نفسه يرفع من شأن العلم والعلماء ولا يدعو إلى تحجيم العلم المثمر والهادف، وهذا هو الرأي السائد في كلّ حواضرنا العلمية بكلّ مسمياتها. نعم، يوجد اتّجاه سلفي متزمّت لم يعِ الفواصل بين العلم والدين، بل لم يميّز جيّدًا بينهما وأخذ بالتضييق على حركة البحث العلمي، ووقف موقفًا سلبيًّا من بعض الأفكار والنظريات العلمية، كنظرية كروية الأرض أو غيرها من النظريات، ولكنّ هذا الاتّجاه هو اتّجاه شاذٌّ ومرفوضٌ من قبل أغلبية علماء المسلمين على اختلاف مدارسهم، بل هذا الاتّجاه يكاد ينحسر في الساحة العلمية. [انظر: العجيري، ميليشيا الإلحاد، ص 20]

الإله والنبوّات حسب المذهب الربوبي

إنَّ الإله الذي هو محور عقيدتهم وأساس مذهبهم هو إلهٌ مجرّد من صلاحيات إعمال ربوبيته حسب إيمانهم وفكرهم، بعبارة أخرى: إنّ إلهًا ليس له أن يتدخّل لا في شؤون البشر ولا في شؤون الكون هو إلهٌ لا مشيئة له في خلقه؛ لهذا يحرص الربوبي على إبراز صورة بسيطة عن الإله الذي يؤمن به خالية عن التعقيد، وطالما يصفونه بأنّه قوّة كونية هي مصدر الخلق ومصدر القوانين الموجودة في جميع أنحاء الطبيعة، فالربوبي بناءً على الكلام المتقدم يصف فكرة الخالق عن طريق القوانين الطبيعية، ومع إيمانه

بوجود خالق لهذا الكون، ولكنه ليس له صلاحية التدخّل في شؤون الناس والكون، وهـذا مـا تطـرّق إليه الربوبي بقوله: الربوبية هي الاعتقاد بوجود خالق للكون، ولكنّه لا يتدخّل في شؤون الكـون، وأنّ الأديان كلّها من نتاج البشر، والدعوات والصلوات لا تستجاب، والحوادث اليومية ليست ناتجـةً عـن رغبة إلهية، إنّما هي نتائج طبيعية لأسباب تحدث في الحياة. وكلّ شيء مفتـوح، لا شيء مقـدّرٌ مسـبقًا. [انظر: العميري، ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، ص 225]

فالربوبيون يعتمدون المنهج العلمي، ويعتمدون على أنفسهم في حلّ مشكلاتهم وتحقيـق أهـدافهم في الحياة. وأخلاق الربوبي ناتجة عن التزامه الذاتي بالخير وابتعاده عن الشرّ، وناتجـة عـن تحضّره وتحضّر مجتمعه.

وهناك من الربوبيين من يعتقد بنوع من الحياة بعد الموت، ولكنّهم يعترضون على الفكر الديـني بأنّـه قدّم الإله وصوّره باعتباره رجلًا، وهو الأمر الذي أتاح اضطهاد المرأة، وهذا مـا نجـده في كلام الربـوبي الذي يقول: المشكلة الأخرى حول فكرة الإله في الأديان السماوية إنَّها صوّرته كرجل، أي أنّ الإله هـو ذكر، وهذا سيجعل النساء منفياتٍ شعوريًّا ولا شعوريًّا إلى مقام أقلّ في المجتمع. ومن هنا نجد أنّ هـذا انعكس على هذه المجتمعات بطريقة غير مباشرة ومباشرة، حيث أصبحت المرأة تخضع للرجل. [المصدر السابق]

وأمّا رفض النبوّات وتعاليم الأنبياء فإنّها حجر الرحى في الفكر الربوبي، بل النقطة المفصلية عنـدهم مع كونهم يؤمنون بوجود إله لكنهم يرفضون فكرة النبوّات وينكرونها، وهـذا الإنكـار هـو بالحقيقـة طريقهم للتخلّص من كلّ ما يتنافى مع أهوائهم، ومن الأنظمة التشريعية والعبادية؛ لهذا ينكـرون على من يدّعي كونه مبعوثًا من الله أو يتكلّم باسم الاله، فهم بالتالي لا يؤمنون بـأنّ النبـوّة الـتي لهـا مكانـة مرموقة ومقامٌ سامٍ كونها الواسطة بين الخالق والمخلوق، إذ تمثل السفارة بين الإله والبشر، وأنّ هـذه المكانة ليست سهلة المنال. [انظر: العميري، ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي، ص 226]

فمن حيث الأهمّية وحسّاسية وظيفة الأنبياء كان من الطبيعي أن يكون الاختيار بيد الله تعـالى، وأن لا تكون بيد الناس أنفسهم؛ لأنّ انتجاب النبيّ واختياره ليس كما يختار الناس زعـيمهم أو رئيسـهم حسب ضوابط معيّنة ومحدودة، فمن حقّ الناس حتى ينظّموا شؤونهم وأمور حياتهم وأن يعهدوا بها إلى شخص يكون قائدهم أو زعيمهم لكي ينظّم شؤونهم، سواءٌ كانت سياسـيةً أو اجتماعيـةً [انظـر: عـزمي، الإلحاد للمبتدئين، ص 19]، لكنّ مكانة النبوّة مغايرة تمامًا، لأنّ الدور المناط بالنبيّ دور خطير؛ لمحوريّته

في حياة جميع الناس، والمهمّة الملقاة على عاتقه مهمّة استثنائية، فتحتاج إلى شخصية استثنائية متحلّية بجميع الملكات والصفات الحسنة، فالاختيار والاصطفاء الإلـهي لا يكـون اعتباطيًّـا أو عبثيًّـا، وإنّمـا يكون حسب صفات خاصة.

والجدير بالذكر أنّ دور النبيّ ليس ساعي بريد بين الخالق والمخلوق وحسـب، بـل إنّ مهمّتـه هدايـة الناس وتزكيتهم وتعليمهم مضامين الرسالة الإلهية، فالبشرية تحتاج إلى رسالة إلهية ترسـم لهـم معـالم الطريق، وهم كذلك بحاجة إلى أن يروا حامل الرسالة مجسّدًا لقيمها المتعالية من خلال سلوكه العمـلي. [انظر: ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص 104]

بعبارةٍ أكثر وضوحًا إنّ البشر بحاجة إلى من سلوكيات عملية تتطابق مع مضامين ما جاء من قبـل الله تعالى؛ إذ يجسّد النبيّ بأفعاله تعاليم الرسالة، وهذا ما قام به الأنبياء وخصوصًـا رسـولنا العظـيم ﷺ إذ جسّد حرفيًّا تعاليم القرآن الكريم، فالواضح من ذلك أنَّ محور النبوة وما يتعلّق به من إلزامـات عنـد الربوبيين راجع إلى رؤيتهم المتقدّمة للإله؛ إذ جرّدوا الإله من تدخّله في شؤون الخلق والكـون؛ فلهـذا الربوبيون لم يختلفوا عن أسلافهم البراهمة في ذلك، بل إنّ الوجوه التي ذكروها في نـفي النبـوّة والرسـل أضعف بكثير من الوجوه التي ساقوها البراهمة في إثبات فكرتهم في نفي النبوّة، فهي أكثر تماسـكًا ممّـا يطرحه الربوبيون المعاصرون [انظر: الخشن، عالمٌ دون أنبياء، ص 85]، فميل الربوبي إلى إنكار النبـوّة ومـا يلازمها يخفّف عن نفسه المصاعب الناتجة عن الالتزام بمقتضـيات الشرـائع السـماوية في منظومتهـا الشعائرية والطقوسية وغيرها من القيود الـتي يفرضـها التشرـيع عليـه؛ لأنّ الإيمـان بـالله ﷻ دون الإيمان بالرسل أمر سهل المؤونة، ولا يكلّف صاحبه شيئًا؛ لذا يجد الربـوبي نفسـه في حـلٍّ مـن هـذه التبعات كلّها برفضه لفكرة النبوّة، بل يجد نفسه متحرّرًا من كلّ شريعة ذات تعـاليم صـارمة أو أشـدّ وطأةً من وجهة نظره.

نقد أدلّة المذهب الربوبي

إنّ الإلحاد المعاصر يضمّ تحت لوائه أطيافًا عدّة، مع ذلك فإنّ المـذهب الربـوبي لـيس وليـد التنـوير الأوربي كما ذهب إليه بعضهم، فقد كان حضوره سابقًا للتنوير الأوربي بحقبة طويلة، إذ كان حاضرًا في المجتمع الإسـلامي خصوصًـا في القـرن الثـاني والثالـث الهجـري في العصر العبـاسي على يـد بعـض الشخصيات كابن المقفّع مترجم كتاب "كليلة ودمنة"، وابن الرواندي الذي كان معتزليًّا فألحـد، وألّـف

كتاب "الدامغ" الذي حاول فيه انتقاد القرآن وإبطال النبوّة، وسنستعرض مفصّلًا آراء الربوبيين وتصوراتهم حول الإله والنبوة والدين، وكذلك المنهج المتّبع لديهم، وكما يلي:

1ـ أنّ تصوّر الربوبي عن الإله ناقص ويعتريه كثير من الفجوات، ومحاولاته في الاستدلال على فكرته لم تصمد أمام النقاش العلمي؛ فإنّ الإنسان عندما يقف أمام الإله في التصوّر الربوبي لا يشعر بأنّه يقف أمام إلٰه يملأ العقل والوجدان والروح، ولا يرى أنّ هذا التصوّر له القدرة على الإجابة على كلّ تساؤلاته ولا يروي ظمأه، فالخلل واضح في فكرهم بسبب غموض الإله الذي يصوّرونه، ولم يحدّد هدفًا لهم من خلقهم، وفوق هذا كله فإنّه مسلوب الصلاحيات، وعاجز بل مكبّلٌ في التصرّف في الخلق والكون، أو إنّ الإله قد قرّر عزل نفسه باختياره عن كلّ التصرّفات في هذا العالم، وإلّا كيف يسكت الإله عمّا يجري في العالم باسمه من ظلمٍ وعدوانٍ، والتاريخ حافل بالآلاف من الرسل الذين ادّعوا أنّهم رسله إلى الخلق، وأنّهم يحملون شرائع من قبله للناس، وقد ترتّب على ذلك كثير من الانقسامات بين الناس من حيث الإيمان بالرسل وعدم الإيمان بهم، وأريقت الدماء وشنّت الحروب بسبب ذلك، وهنا يُطرح سؤال هو: إذا كان هذا الإله الذي يؤمن به الربوبي عالمًا بما يفعله خلقه، وما يقومون به من أعمال الخير أو الشرّ، وإذا كان يعلم، فما هو موقفه من ذلك؟ هل هو راضٍ بذلك أو رافض له؟ وإذا كان رافضًا وغير راضٍ بأفعال الشرّ فماذا يترتّب على رفضه وعدم رضاه؟ فالإنسان السويّ المفكّر لا يقبل بذلك ولا يقتنع بفكرة الإله الغامض الذي لا يفصح عن هويته وعن الهدف من خلقه للخلق، ما جعل الربوبيين يستشكلون بعبثية خلق الإنسان على الأرض، وعدم الحاجة إلى الأديان والرسل، وإنّ الإنسان يستطيع بالعقل وحده أن يتوصّل إلى الهداية، وهذه الدعوى قد ردّها القرآن سابقًا بأسلوب بليغ فقال الله سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: 115]، يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أفظننتم أنّكم مخلوقون عبثًا بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا، وأنّكم إلينا لا ترجعون، أي لا تعودون في الدار الآخرة» [ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج 5، ص 500]، وكذا القرآن ردّ دعوة الربوبيين حول نبوّة الأنبياء وإنكارهم للرسالة، بقول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: 91]، وقد فسّرها المفسّرون بأنّ مفاد هذه الآية: «وما عرفوه حقّ معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين أنكروا بعثة الرسل والوحي إليهم، وذلك من أعظم رحمته وأجلّ نعمته، وما عرفوه حقّ معرفته في سخطه على الكافرين وشدّة بطشه بهم، ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة في إنكار النبوّة» [الزمخشري، الكشّاف، ص 336].

وهذا ما جعل توماس كارليل يقول قولته الشهيرة: «إله الربوبيين إله غائب، يقعد بلا عمل منذ السبت الأوّل خارج أطراف كونه، ليراه يعمل» [طلعت، العودة إلى الإيمان، ص 43]، ممّا جعل الربوبي يقف عاجزًا عن تقديم إجاباتٍ عن القضايا المصيرية والكبرى، مع أنّ هذه الأسئلة مهمّة لكلّ عاقل مفكّر، وسيدرك صاحب الفكر الربوبي أنّ نظرته التي قدمها هي نظره اختزالية للجوانب الأخرى للعقل، وهذا ما تطرق إليه د. طه عبد الرحمن بقوله: «العقلانية على قسمين كبيرين، فهناك العقلانية المجردة عن الأخلاقية، وهذه يشترك فيها الإنسان مع الحيوان، وهناك العقلانية المسددة بالأخلاقية، وهذه التي يختص بها من دون سواه، وخطأ المحدّثين أنّهم حملوا العقلانية على المعنى الأول وخصّوا بها الإنسان» [عبدالرحمن، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، ص 14].

2ـ الربوبيون بعد إقرارهم بربوبية الله ﷻ فإنّهم يلزمون أنفسهم ووفقًا لقانون التلازم بألوهيته، فالفكر الربوبي عندما يقر بمبدإ خلق الكون، ويجحد الألوهية التشريعية، فإنّ ذلك يعبّر عن غفلة، فالمذهب الربوبي عاجز تمامًا عن معرفة الغاية من الخلق، وعاجز عن الإجابة عن الأسئلة من قبيل: ما الغاية من وجودي في هذه الحياة؟ ما مصيري بعد الموت؟ لماذا خلقني الله في هذه الدنيا؟ إنّ الإقرار بالخالق دون عبادته والتوكّل عليه والاستعانة به هو انتحار للعقل!

3ـ الفكر الربوبي لا يكتفي بالعقل وحده بوصفه مصدرًا من مصادر المعرفة، بل يضيف لذلك الحسّ والعلوم التجريبية، والربوبيون بهذا كاليهود حينما قالوا لموسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [سورة البقرة: 55]، فهم يقيسون الغيبيات بميزان الحسّيّات، ويقيسون عالم الغيب بمقاييس عالم الشهادة، وهذا يعلم بطلانه كلّ ذي لبٍّ، وقد وقع أصحاب الفكر الربوبي في مغالطة منطقية أخرى، وهي جعل كلّ الأديان السماوية في بوتقة واحدة، فوقعوا هنا بالمماثلة بين الأديان مع أنّ مذهبهم لم يكن سوى ردّ فعلٍ تجاه الفكر الكهنوتي الكنسي، وبهذا فهو مرهون بسياق زماني ومكاني محدّد، ولا يمكن له جعل الكلّ في سلّةٍ واحدةٍ، خصوصًا أنّ الرسالة الخاتمة (الإسلام) جاءت مهيمنةً على سابقاتها، ومتطابقةً مع العقل والعلم الحديث، والملجأ الذي اختاره الربوبيون يعدّ ضربًا من الانسلاخ عن التكليف الإلهي الذي يترتّب عليه عقابٌ وحسابٌ بعد الموت.

4ـ أنّ كلّ الأسئلة السابقة لم يقدّم الربوبي أجوبةً مقنعةً عليها، ممّا يجعل إله الربوبيين فاقدًا لكلّ الصفات التي يحكم بها العقل له، وأهمّها القدرة والعلم والحكمة، هنا يمكن أن يقال: إنّ الله تعالى لم

يرد كشف نفسه لكلّ أحد، بل لبعض الأفراد حصرًا، فنقول: إذا أراد أن يكشف نفسه للناس فلماذا يكشفها ـ كما يقول بعض الربوبيين ـ لفردٍ أو مجموعة أفرادٍ منهم ولا يكشفها لكلّ فردٍ منا؟

في مقام الجواب نقول: ما المقصود من أنّ الإله لم يكشف نفسه؟ هل المقصود أنّه خفيٌّ ومجهولٌ للناس كافّةً ولم يظهر نفسه؟ أو المقصود أنّه خفيٌّ لم يوح لكلّ واحدٍ من الناس؟ فإذا كان قصده هو الأول نحن نسأله: هل تؤمن بإلهٍ خفيٍّ لا تعرف عنه شيئًا؟ إنّ الإله الحقيقي الذي نؤمن به، والمفترض أن يؤمن به كلّ إنسان، لم يخف نفسه أبدًا، بل كشف نفسه لكلّ الناس من خلال هذا الكون الفسيح وما فيه من الدلالات والآيات من دقّةٍ ونظمٍ وانسجامٍ، وقد نُقل عن الإمام الحسين عليه السلام قوله: «عميت عينٌ لا تراك عليها رقيبًا» [المجلسي، بحار الأنوار، ج 95، ص 226]، وأمّا إذا كان قصده الثاني وهو المرجّح هنا؛ باعتبار أنّ الإله خفيٌّ من حيث لم ينزل الوحي على أحد من الناس، فان هذا الكلام مرفوض ومستغرب مع هذا الكمّ الهائل من الرسل عبر التاريخ كما تقدّم الكلام في مبحث النبوّات، فإنّ نزول الوحي يحتاج إلى شروط وأهلية خاصّة واستعداد عالٍ لا تتهيّأ لكلّ إنسان.

5ـ لا يتسنى لجميع البشر أن يكونوا رسل الله وأنبياءه؛ لأنّه سبحانه وتعالى يصطفي من عباده رسلًا وأنبياء، لكن لا يكون هذا الاصطفاء اعتباطيًّا أو جزافيًّا، بل يكون نتيجة علمه تعالى بالأهلية التامّة والاستعداد الكامل لمن اصطفاهم واختارهم لتحمّل الرسالة، حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: 33].

6ـ وأمّا قول الربوبي إنّ الإله لا يتدخّل في شؤون الخلق والكون، فهنا نتساءل: ما القصد من ذلك؟ هل القصد أنّ الإله تعالى فقد القدرة بعد الخلق؟ أو أنّه لم يكن قادرًا من الأساس؟ أم يقصدون أنّه تعالى قادر لكن ترك التدخل طوعيًّا وباختياره؟ فإذا كان القصد الأوّل ـ أي عدم القدرة على التدخّل ـ فإنّ هذا إقرار من الربوبيين بإن الإله عاجز وضعيف، وإن كان هذا هو الإله فإنّه لا يستحقّ أن يكون إلهًا، فالإله لا يمكن أن يكون فيه نقص، فهو مصدر الكمال والقوّة، فكيف يكون لإلهٍ أن تكون له القدرة على إيجاد هذا الخلق البديع، ثمّ لا تكون له القدرة على التدخّل والتصرّف في شؤونه؟!

وأمّا إذا القصد الثاني من أنّ الإله هو من قرّر عدم التدخّل باختياره بالرغم من قدرته على ذلك، فهنا نسأل الربوبي: من أخبرك بذلك؟ هل هو الوحي؟!

فمن المؤكّد أنّه لا يمكنه ادّعاء ذلك؛ لأنّه لا يؤمن بالوحي أصلًا، وأمّا إذا زعم بأنّ هذا الأمر ممّا يحكم به العقل، فإنّنا نقول إنّ العقل لا يستطيع الدخول في مساحة ليس من مساحته بشيء؛ لأنّ العقل لا يستطيع التنبّؤ بمثل هذه الأمور، والربوبي لا يؤمن بوسيلة تواصل مباشرة بين الإله وبين الناس أصلًا، والأمر الجدير بالذكر هنا هو اعتقاد الربوبي بالعقل كقائد ومحرك للإنسان وليس رسولًا يتلقّى الوحي من الإله؛ فاذا تنزلنا ووافقنا على قول الربوبي بأنّ الإله قد اتّخذ هذا القرار، فلنا أن نتساءل: ما الوجه باتخاذه هذا القرار؟ فهل اتّخذه لغاية وهدف لأنّه حكيم لا يعمل العبث أو بدون غاية معيّنة؟ أو أنّه يريد أن يخلد إلى الراحة أو التفرّغ إلى أعمال أخرى مثلًا، فنقول هذه كلها لا تليق بجلال عظمته، فهو المطلق اللامحدود في علمه وقدرته.

7ـ أمّا اعتراض الربوبي وإنكاره لمسألة النبوّة والرسل والاكتفاء بالعقل في مجال العلاقة مع الإله، فهنا نتساءل: هل العقل يحكم باستحالة إرسال الأنبياء؟ أو أنّه يحكم بعدم الحاجة إليهم؟ أو أنّه يحكم بعدم ثبوت صدقية الأشخاص الذين يدّعون أنّهم رسل الله تعالى؟ فالربوبي لا يمكنه الادّعاء بالاستحالة؛ لأنّه لا يمكن لعاقل أن يدّعي استحالتها أو يدرجها في القضايا المستحيلة والممتنعة تحقّقًا وثبوتًا؛ إذ لا يلزم منها محذور عقلي كمحذور التناقض مثلًا، وإذا انتفى مورد الاستحالة فلا يبقى هنا إلّا أن يقال بأنّ مسألة النبوّة والرسل من القضايا الضرورية أو الممكنة، فعدادها من القضايا الضرورية هذا ما ذهب إليه المتدينون، ولا يوجد احتمالٌ آخر لأنّ الحصر هنا عقلي، وبما أنّ الربوبي لا يؤمن بأنّ المسألة من المسائل ضرورية الوقوع، فلا يبقى أمامه إلّا أن يجعلها في حيّز الإمكان؛ لأنّ كلّ قضيّة إن لم تكن ضرورية الامتناع ولا ضرورية التحقق، ستكون لا محالة في دائرة الإمكان كما ذكرها المناطقة والفلاسفة [ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، ج 3، ص 18]، فما دامت هذه المسألة في دائرة الإمكان فلنا أن نتساءل عن كيفية إثباتها أو نفيها؟ ومن المؤكّد أنّ النفي والإثبات يكون بحكم العقل، وهذا لا يكون بلا دليل، فالعقل عند الربوبيين يمكنه الاستدلال على الإيمان بالإله، وهذا نتّفق به معهم، وإنّ العقل يمثّل مرجعًا وحجّةً على الخلق، وهذا العقل يحتّم على الإنسان في رفضه للممكنات أو قبوله إياها لا بدّ أن يكون بدليل ليكون جزمه بالنفي أو الإثبات صحيحًا ، يقول ابن سينا: «عليك الاعتصام بحبل التوقّف وإن أزعجك استنكار ما يوعاه سمعك مالم تتبرهن استحالته لك، فالصواب أن تسرّح أمثال ذلك إلى بقعة الإمكان مالم يذدك عنه قائم البرهان» [المصدر السابق، ج 3، ص 418]، فهل يوجد دليل على النفي أو الإثبات؟ فالمؤمنون بمبدإ النبوّة يعتمدون في الإثبات على حكم العقل الحاكم بلزوم بعثة الأنبياء، وأيضًا يستندون إلى الواقع، فإنّ خير دليل على الإمكان هو الوقوع؛ فالبشرية على مرّ التاريخ

عرفوا جماعةً كبيرةً من الأشخاص من ذوي الصدق والنبل الذين ادّعوا النبوّة والرسالة، وتمّ تصديقهم؛ لأنّهم أقاموا الدليل والحجّة على دعواهم.

8ـ أمّا الربوبي فلم يقم الدليل على نفيه للنبوة، بل نفيه لها يعتبر مجازفةً كبيرةً؛ لتصادمه بواقع مفاده أنّ اشخاصًا كثيرين بلغوا الآلاف جاءوا على مرّ التاريخ وقالوا للناس إنّا رسل الله اليكم، وساقوا الأدلّة والحجج التي تثبت صدقهم، فهل يستطيع الربوبي أن يكذّب هؤلاء أو يحكم بخطئهم جميعًا؟ وأيضًا كيف يخطّئ كلّ هؤلاء البشر الذين صدّقوهم وآمنوا بهم، والعقل لا يتسنّى له ذلك، بل ولا يسمح للإنسان أن يتّخذ موقفًا بتكذيب كلّ هؤلاء الرسل أو تخطئتهم.

9ـ وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ النبوّة ليست سعاية بريد وظيفتها حمل الرسائل للناس وإيصالها إليهم وحسب، فالنبي يجب أن يكون مطّلعًا على مضمونها، ويتحمّل مسؤولية التزام الناس بها؛ فالرسول بين الإله والخلق هو إنسان يحمل الرسالة بيده، ويجسد تعاليمها في خلقه وهديه، ومهمته في هداية الناس وتزكيتهم وتعليمهم مضامين الرسالة، وإنّ البشر كما هم بحاجة إلى رسالة إلهية ترسم لهم معالم الطريق على مستوى العقيدة والسلوك، فإنّهم أيضًا بحاجة إلى أن يروا حامل الرسالة شخصًا يجسّد قيمها وهديها من خلال سلوكه العملي، ممّا يساعد على تمثلهم لتلك القيم والأخلاق.

10ـ ويجدر التنبيه إلى أنّ البراهمة الذين يعتبرون سلف الربوبيين قد اعترضوا على عدم إرسال الله تعالى رسلًا من الملائكة؛ لهذا نقل عنهم أنّهم قالوا: «هلّا أرسل الله ملكًا، فإنّ الملائكة إليه أقرب، ومن الشكّ فيهم ابعد، والآدميون يحبون الرئاسة على جنسهم فيوقع هذا شكًّا» [ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص 104].

وهذا القول منهم مردود لأنّ مهمّة النبيّ أو الرسول مبتنية على بشريّته؛ لأنّه لو كان الأمر كما يقولون لكان الرسول حاملًا للرسالة فقط، وبهذه الحال يمكن أنْ يكون ملكًا يبعثه الله سبحانه إلى البشرية ليلقي عليهم الكتب السماوية، وهذا بخلاف دور النبي الذي أخذ على عاتقه هداية البشر وإرشادهم، والأخذ بأيديهم في مدارج الكمال، وكذلك يقوم بدور القدوة والمثل الأعلى لهم، فهذا يلزم أن يكون من جنس البشر ليتسنّى لهم الاقتداء به والتفاعل معه، وبغير هذا لا تكون حجّةٌ عليهم.

لهذا اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الرسول بشرًا، وأن لا يكون ملكًا؛ لذا قال الله ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [سورة الأسراء: 95]، وبما أنّ

أهل الأرض من جنس البشر وليس من جنس الملائكة، فلا بدّ أن يكون الرسول من جنسهم. نعم، توجد بعض الحالات اقتضت إرسال رسول من الملائكة لا من جنس البشر، كما في حالة نقل الوحي إلى الرسول، وهي حالة تواصل بين الإله المرسِل وبين أنبيائه كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [سورة الشورى: 51]، وأيضًا كاقتضاء الحكمة الإلهية أن يتمثّل ملاك الوحي للمخاطَب، كما في حالة العذراء مريم في قضيّة حملها بعيسى عليه السلام بشكل إعجازي كما في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [سورة مريم: 17].

هذا نموذج لإرسال الملائكة رسلًا، ولم تكن مهمّتهم تبليغ الرسالة للبشر، وإنما كانت ـ كما بيّنّا ـ خطاب شخص معيّن، وهذا يوضّح لنا سرّ ما أكّده القرآن الكريم في بشرية النبي ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة: 128]، فيتبيّن لنا أنّ الله تعالى في بعض الأمور يرسل ملائكةً لتنفيذ أمور مهمّة وخطيرةٍ، لكن ليس لها ارتباط بأداء عمل ودور ما يقوم به الأنبياء والرسل.

11ـ أنّ هذا الاستغراب من إرسال رسلٍ من بني البشر نابعٌ من توهّم أنّ بشرية الرسل تقلّل من مكانتهم الرفيعة كونهم سفراء إلهيّين، ومن كان هكذا فلا بد أن يكون فوق مستوى البشر، ولا يعقل أن يتّصف بصفات البشر من قبيل الضعف والنقص.

وهذا الكلام مرفوض أيضًا، ليس لما أسلفنا من عدم قيام الحجّة على العباد إلّا بإرسال رسل من بني جنسهم، بل لتوهّمهم بأنّ البشرية صفة دونية وعلامة ضعف في صاحبها، هذا الكلام في الواقع يصطدم بالتصوير القرآني للإنسان الذي يبتني على ركن أساسي بأنّ البشر هم خلائف الله تعالى في الأرض، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: 30]، فيبدو واضحًا أنّ اختيار النبيّ من جنس البشر هو دليل تكريم إلهي للجنس البشري. [انظر: الخشن، عالمٌ دون أنبياء، ص 92]

وهنا يطرح سؤال مفاده: هل يتجرد النبيّ ـ الذي يتميّز بملكات روحية وخلقية عالية تجعله في أوج القرب الإلهي ـ من الخصائص البشرية بحيث يكون خاليًا من الغرائز والعواطف والانفعالات أم لا؟

في مقام الجواب نقول: إنّ النبي رغم تميّزه بملكات روحية وخلقية، فإنّه يبقى في إطار بشريته من حيث الخصائص والطباع والعواطف كسائر البشرية، من حيث الشعور بالألم والمرض والجوع والعطش ...

فالحكمة الإلهية كما منعت من إرسال رسل من جنس الملائكة أو الجنّ إلى بني البشر، فإنّها كذلك تمنع من أن يكون بشرًا خاليًا من خصائصه البشرية من غرائز وعواطف وانفعالات. [انظر: الخشن، تحت المجهر، ص147]

لهذا أكّد القرآن الكريم في أكثر من آية على بشرية الرسل كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [سورة الكهف: 110]، وبالتالي الاعتراف ببشرية النبي ﷺ يلزم التصديق بلوازم بشريته أو خصائصها واحتياجاتها، وهذا ما يؤكّده الخبر الصحيح عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام حيث قال: «كان رسول الله ﷺ عزوف النفس، وكان يكره الشيء ولا يحرّمه» [الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج 24، ص 112]، فإنّ العزوف عن بعض الأمور هو من مقتضيات بشريته، ولا علاقة له بصفته الرسالية؛ لهذا وردت أحاديث كثيرة تتحدّث عن وجود ميلٍ خاصٍّ لرسول الله ﷺ إلى بعض الأطعمة والأشربة والألبسة، وكل هذه لا تخرجه عن طبيعته البشرية.

الخاتمة

1ـ أنّ المذهب الربوبي سواءٌ كان قديمًا أو معاصرًا يمكن وصفه بكونه جاهليةً معاصرةً وانحرافًا عن الصراط المستقيم.

2ـ أنّ أتباع المذهب الربوبي عندما يقصي الجانب الروحي من حياة البشر يجعلهم مضطربين نفسيًّا.

3ـ أنّ أصحاب المذهب الربوبي عندما فقدوا البوصلة في تحديد الوجهة الصحيحة، فإنّهم عاشوا حياةً غير مستقرّة في الدنيا، فضلًا عن خسارتهم للآخرة؛ بسبب عدم التزامهم برسالة الأنبياء وتعاليمهم.

4ـ أن إرسال الله تعالى لملائكةٍ بدلًا من البشر في بعض الحالات هو لإبعاد التهمة والريبة عن النبي البشري، كما في قصّة مريم وحملها مع وجود زكريا عليه السلام.

5ـ أن النبوّة ضرورة عقلية وحاجة بشرية تتوافق مع الفطرة والعقل والمنطق.

6ـ أن الوحي الإلهي يحتاج إلى أهلية خاصّة لا يحملها أي إنسان، بل يحملها بعض البشرـ الذين لهم مؤهّلات وكمالات خاصّة توهّلهم ليكونوا رسل الله إلى الخلق.

7ـ أنّ الله تعالى الذي أبدع هذا الخلق العظيم له القدرة على التدخّل والتصرّف في شؤون كونه، وليس كما يقول الربوبي إنّه ترك الخلق لشأنه.

قائمة المصادر

القرآن الكريم

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، 2007 م.

الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، 1412 هـ.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، تلبيس إبليس، دار التحرير، مصر، الطبعة الأولى، 1992 م.

الشهرستاني، محمد عبد الكريم، الملل والنحل، الشريف الرضي، قم، الطبعة الأولى، 1364 هـ.

الأمين، محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت، الطبعة الأولى، 1983 م.

ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1979 م.

الخشن، حسين، أصول الاجتهاد الكلامي، المركز الإسلامي الثقافي، بيروت، الطبعة الأولى، 2015 م.

الخشن، حسين، عالم دون أنبياء، المركز الإسلامي الثقافي، بيروت، الطبعة الأولى، 2017 م.

الخشن، حسين، تحت المجهر، المركز الإسلامي الثقافي، بيروت، الطبعة الأولى، 2013 م.

ابن سينا، أبو علي، الإشارات والتنبيهات، دار البلاغ، قم، الطبعة الثانية، 1435 هـ.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن الكريم، دار ابن حزم، لبنان، الطبعة الأولى، 2000 م.

العميري، سلطان عبد الرحمن، ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي، دار تكوين، السعودية، الطبعة الثانية، 2018 م.

العجيري، عبد الله صالح، ميليشيا الإلحاد، دار تكوين، السعودية، الطبعة الأولى، 2014 م.

الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، 2009 م.

المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار، دار الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، 1983 م.

الحرّ العاملي، أبو جعفر محمد، وسائل الشيعة، مؤسسة إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، 1409 هـ.

بدوي، عبد الرحمن، الموسوعة الفلسفية، مكتبة الإسكندرية، مصر، الطبعة الأولى، 1984 م.

بدوي، عبد الرحمن، تاريخ الإلحاد في الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، الطبعة الثانية، 2011 م.

بدوي، عبد الرحمن، ربيع الفكر اليوناني، دار النهضة، مصر، الطبعة الثانية، 1942 م.

عزمي، هشام، الإلحاد للمبتدئين، دار الكاتب، مصر، الطبعة الثانية، 2015 م.

سولومون، روبرت، الدين من منظور فلسفي، دار العارف، بيروت، الطبعة الأولى، 2009 م.
طلعت، هيثم، العودة إلى الإيمان، دار الكاتب، مصر، الطبعة الأولى، 2014 م.
عبد الرحمن، طه، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى، 2000 م.
ستر ومبرج، دونالد، تاريخ الفكر الأوربي الحديث، دار القارئ، مصر، الطبعة الثالثة، 1994 م.
وال ديورانت، ويليام جيمس، قصة الفلسفة، دار المعارف، بيروت، الطبعة السادسة، 1988 م.
مدونة الربوبي العربي، مقال جمال الربوبية، 26 آب 2009 م.